

## ارشاد العامة

لو كان من وكل اليهم هداية العامة يؤمنون حقًا بما يعظون لأثرت اقوالهم  
التأثير المطلوب ولقلّ معظم ما نراه من شرور . الدين يقوم المعوج ويظهر النفوس ،  
ولكن اذا آض الى ابدي من لا يحسنون استعماله يصبح عبارة عن رسوم وشعائر  
لا تدخل الصميم .

نرى المصلين في الجوامع الى اليوم ليسوا بقليل عددهم ، ولكن هل عملوا كلهم



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة  
[www.alukah.net](http://www.alukah.net)



يا ترى بما يتلون وما يتلى عليهم؟ هل هدتهم صلاتهم الى ان الله تعالى جرم عليهم الكذب والسرقة وأمرهم بالصدق والأمانة؟ ابحتوا في شؤون هؤلاء المستهترين، هل ترون أكثرهم عمل بقليل مما أمره به الدين ام هو مسلم جفرا في، ومسلم تشيد باسلامه تذكرة النفوس فقط.

ارجو الا اتهم بالمبالغة او باستعمال الاسلوب الخطابي ولا اطلب ممن يتهمني بذلك الا ان ادعوه ليحك بالسوق والمرزقة والتجار والفلاحين فيشهد العجب من أخلاق بعضهم يزي السارق يسرق بدون نكير والكذاب يكذب ولا يحجل، وهناك سلسلة من التزوير والتفجير، ولو أردنا تصفية أبناء كل حرفة من لوثاتهم ما ثبت على محك النقد الا افراد قلائل في كل قرية وفي كل حي ومتمثلة . تديروا أخلاق أكثر اهل القرى وأخلاق اهل المدن تروا بعض الفلاحين والمدنيين سواء في الفساد وضعف الأخلاق، لا تكاد تجد الأمين المؤمن الا نادراً، وكان الأجداد على عكس ذلك تغلب الفضائل النفسية على السواد الأعظم منهم في الجملة . واكثر من تعتقدون اليوم فيهم الأمانة يسرقونكم متى آنسوا منكم ضعفاً او غفلة، اما الكذب فلم يسلم منه الا من عصم ربك، واما الغش فما أظن المانع لبعضهم من الاسترسال فيه الا علمهم بأن اشتهارهم به يؤدي الى قطع ارزاقهم . أمثل لكم بمثال واحد أثبت به ما أقول، وهو تحت نظرنا كل ساعة وكل يوم، انظروا نظر النقاد في البياعات والحاجات هل تجدون أشياء كثيرة سلت من الغش يفشون في الكيل والوزن وفي القياس والزرع، واكثر مواد الغذاء مغشوشة فالغش يدخل الخبز واللحم والسمن والزيت والزبد والتشدة والجبن واللبس والعسل واللبن الرائب واللبن الحليب وماء الزهر وماء الورد . واذا أرادت الحكومة ان تسيطر على العامة والمرزقة قد يشترك من ينصبه لتلك مع الغشاشين فيزيد لص كبير الى اولئك اللصوص الصغار، وهذا المسيطر قد يكون ممن يحمل شهادة أطول من قائمته ولكن نفيته دينية . معظم ما يعمل في السوق وفي خلوة مغشوش :

الأدوية مغشوشة في الصيدليات والقهوة والمرطبات مغشوشة والحلويات مغشوشة والالوان المطبوخة مغشوشة . وارباب المدارك من المستهلكين يفلحون هذا ولا يستنكرونه لأنهم هم أيضاً مشاغيل بغشهم ومنهم لصوص في ثياب تجار أو زراع أو صناع .

كان أكثر العامة منذ نحو خمسين سنة يتعمدون عن النش في الوزن والكيل وعن غش المائعات والسائلات . وما كان الفلاح يجوز لنفسه غش اللبن غالباً لأنه كان يعتقد ان الله تعالى يجازيه على فعلته بهلاك بقرته او عززته او نعبته ، وما كان يجب أن يُخسر الكيل والميزان لأن الله له بالمرصاد يعاقبه في الدنيا قبل الآخرة فينجمه بأولاده ، ويرزوه بصحته او دابته ، ويسلط الأقوياء عليه ينبهونه ويسرقون ما ادخر من مال ومؤنة ، او يسلط عليه آفة تأتي على الأخضر واليابس مما جمع . كان هذا الاعتقاد نافعاً جداً في دفع الأذى يساعد المحتسب على القيام بانفاذ قانونه على الناس في يسر وسهولة ، والمحتسب بمثابة رئيس البلدية ومدبر الشرطة والصحة اليوم . اما بعدنا هذا فقد تفسف بعض العامة بل الحدوا وتزندقوا فظلوا مسلمين يصلون ويصومون ولكنهم يسرقون ويفخشون في سرقاتهم . وهذا مما ينذر بشيء المصير .

انا كلما زدت معرفة بهذه الطبقات يسوء ظني بالمستقبل واعزني نفسي بأن الأخلاق قد تردى في عهد الحروب والفوائل ولا بد أن تتحسن متى انجحت الغيرة وزالت الشدة ، ولطالما تمنيت لو قاسمني السارق برضاي ما يريد ان يسرقه متى في مر ، وكثيراً ما قلت لهؤلاء الفلاحين وغيرهم اذا طعمت أنفسكم في أخذ شيء من اشيائي قولوا لي وانا انزل لكم عن بعضه برضاي فتأخذونه خلا لا طيباً ولا تطعموا في أخذ شيء بدون علي فأنا لا أريد ان استرقع واستحقق . ولطالما قلت لبعض أرباب الصناعات خذوا اجرة حسنة علي ان تعاهدوني الا تسرقوا شيئاً في غيابي ، ولكن نفوس أهل هذه الطبقة زُين لها الريح من أي طريق أتى . ولكم كنت اعطي العامل واكرمه وكما زدت في إكرامه استغفني وغلا في نهبي .

لا ألوم من لا تدرك عقولهم الا المنفعة المعجلة وعقولهم في عيونهم كما يقال ، وقد تجردوا من الفضائل الكسبية والفطرية ، بقدر ما ألوم من يجيئون في طبقة أرقى من طبقتهم وهم مناط الرجاء في الهيمنة عليهم .

رأيت هؤلاء الغشاشين باعة وتجاراً يجمعون اموالاً وبينون حوائت وبيوتاً وبقنتون مزارع وحدائق ثم يبدد كل ما جمعوه بأدنى عارض فكنت احمده الله على ذهاب اموال جمعت بالسحت وبالغش وأجد ذلك عقوبة عادلة لهم . رأيت ثروات من احتكروا أصنافاً من القوت في الحرب الماضية تمزق شرمزق ، وكذلك سيكون مصير اموال من تجردت نفوسهم من كل شفقة واحتكروا في هذه الحرب تلك الأصناف ولكن الناس لا يعتبرون .

والآن ماذا يجب ان يعمل لإصلاح هذا الفساد المستشري او تخفيف وبلائه على الأقل ، هنالك ثلاثة عوامل تقيد في تقليم اظافر الفاسدين وتعيد الى المجتمع صفوه الذي كان له في الدهر السالف . العامل الأول تطبيق القانون على من يعيشون بحقوق اخلق بدون مسامحة ولا هوادة فان قوانيننا الشرعية والوضعية كفيلا بالسعادة ، لو جرى تطبيقها على ما يجب ما احتجنا بعدها الى وازع آخر . الا ان المسألة لتوقف على انفاذ تلك القوانين ، والقوانين تغني عنها بالتطبيق لا بحال مادتها وانسجام عبارتها . وفي بعض الآثار : يزعم السلطان اكثر مما يزعم القرآن (أي ان من يكف عن ارتكاب العظائم مخافة السلطان اكثر من تكفه مخافة القرآن والله تعالى) ولا بد من تضيق خناق المسيطرين على القوانين في ارشاد العامة الى الجادة وأن يطرد المتساهل من عمله ولو كان بعد من الرؤساء فالشمكة ثنن من رأسها كما يقول الأتراك في امثالهم ، والتفتيش يجب ان يتناول الكبار قبل الصغار ، فبايديهم تسير مصالح الناس سيراً حسناً او لتلوي وتزيغ .

والعامل الثاني الخطباء والوعاظ فهؤلاء من واجبهم ابدأ ان يبينوا للفاصلين مغبة عملهم على انفسهم وعلى الجماعة ، يقولون ما يقولون لم عن عقيدة لا كلاماً لا يتعدى أطراف الشفاء ، يختلطون بالناس ويتنوعون الأساليب لمن بهم المجتمع ارجاعهم

الى الطريق السوي ، ويخاطبونهم باللغة التي يفهمونها ، ويدلونهم من طريق العقل والنقل الى كل ما فيه صلاح نفوسهم والبعد بها عن الكذب والخديعة .

والعامل الثالث وهو الالام قيام الامة على اختلاف طبقاتها ببداية الضالين وتذكيرهم بحقيقة دينهم ومصالح دنياهم ومقاصد دينهم اذا سرقوا وكذبوا وان يبينوا لهم السبب الذي من اجله قاطعوا ، وعلى الصالحين ان يعتقدوا انهم بمحملهم هذا يقومون بواجب مقدس ، واذا هم رحموا حيث لا تحل الرحمة تضيع حقوقهم وحقوق غيرهم ، وعليهم ان يعتقدوا ان واجب كل انسان ان يعتقد اعتقاداً جازماً انه هو القانون وهو الحكومة ، وانه متى تهاون فيما يرى ويسمع من منكر ولم يتقدم لاصلاحه يعد خائناً لأتمه وخائناً لنفسه ، فان الفرد في معظم الأمم الراقية في الغرب يعاون الحكومة في مهنتها ويعتقد انه اذا لم يبيمن بنفسه على من يخرق قوانين بلاده يعد شريك الجاني والمجرم .

وهذا العامل الثالث من أشد العوامل الناجمة في هداية الزائغين من العامة ، خصوصاً اذا أوهم الخواص العوام انهم ليسوا أرقى منهم كثيراً ، وان يدها درجة اذا سعدوها مائلوهم في المجتمع وكانوا موضع الرعاية والحرمة . ولا يؤلم العامة اكثر من احتقارهم . ومن هنا جاء حسد الفقراء للأغنياء ، واعراض الجهلاء عن العلماء ، وغيره الضعفاء من الأقوياء .

اذا اجتمعت هذه العوامل الثلاثة وعمت باخلاص وجد ينصلح الجزء الاعظم من الأمة وباصلاحه تدخل في طور جديد ونحمد غيب القوانين المرعية ، واذا بقيت كما هي اليوم عادت كعلم جابر اقرأ تفرح جرب تحزن . ومن كان صلاحه بيده وهو يهمله لا يبالي فأنذره بمصير من يعلمون ولا يعملون . اهـ

ولما انتهى من المحاضرة خرج واعضاء الجمع العلمي العربي مودعين فخامته ودولة رئيس الوزراء وصاحبي المعالي وزير المعارف والعدلية متمنين ان تحقق همه فخامة الرئيس وضعي هيئة الحكومة ذلك الوعد الكريم وفقهم الله .